كانت في الكنيسة في ظلمات الديامس كما يرى في معبد القديسة بريسكلّا من التماثيل الدالّة على قدم تكريمها وظهرت للملا بعد ان خرجت الكنيسة منتصرةً على اعدائها وستثبت مع الكنيسة مدى الدهر

الخطّ العربي

نخبة من كتاب صُبح الاعشى في كتابة الانشا للقلقشندي

عني بنشرها الاب ل. شيخو اليسوعي (تابع لما سبق ص ١٤)

الفصل الرابع (١)

في وضع مطلق الحروف

قيل انّ اوّل من وضع الخطوط والكتب كلها آدم (عم) كتبها في طينٍ وطبخهُ (٢ وذلك قبل موته بثمانمائة سنة... وقيل اخنوخ وهو ادريس (عم). وقيل انها أُنزلت على آدم في احدى وعشرين صحيفة. وقضيّة هذه المقالة انها توقيفيّة علّمها الله تعالى بالوحي. والمقالتان الأُوليان محتملتان لأن تكون توقيفيّة وان تكون اصطلاحيّة وضعها آدم او ادريس (عم) على انهُ يُحتمل ان يكون بعض ذلك توقيفي علّمهُ الله تعالى بالوحي وبعضهُ اصطلاحي وضعهُ البشر واحدًا وجماعةً فيصير الخلاف فيه كالخلاف في اللغة هل هي توقيفيّة او اصطلاحيّة على ما هو مقرّر في علم الاحوال والله سبحانهُ وتعالى اعلم

الفصل الخامس

في وضع الحروف العربيّة

... جاء عن ابن عبّاس (رض) انّ اوّل من وضع الحروف العربيّة ثلاثة رجال من بَوْلان قبيلة من طيّ نزلوا مدينة الأنبار وهم مُرار بن مرّة واسلم بن سدره وعامر

١) فضّلنا ان نقسم هذه النخبة الى فصول ليسهل على القارئ مراجعتها. اما في «كتاب صبح الاعشى» فللتقاسيم اسماء عديدة كالجمل والطرف والمسالك والاصول والفصول وغير ذلك مما يضيع فيه القارئ

٢) الكتابة على الآجرّ كانت شائعة في بلاد بابل واشور. وقد اكتشف منها المحدثون عددًا لا يحصى منها ما يرتقي عهدهُ الى نحو ٤٠٠٠ سنة قبل المسيح

ابن حدرة (١ اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطّعة وموصولة ثمّ قاسوها على هجاء السريانيّة. فاماً مراد فوضع الصُّور. واماً أسلم فقصل ووصل. واماً عامر فوضع الإعجام. ثمّ نُقل هذا العلم الى مكّة وتعلّمهُ من تعلّمهُ وكثر في النـاس وتداولوهُ. ونقل الجوهريّ عن شرقيّ بن القطـاميّ انّ اوّل من وضعهُ رجال من طيّ منهم مراد بن مرّة وانشد عليه:

تعلّمتُ باجاد وآل مرائر ٢) وسوّدتُ اثوابي ولستُ بكاتبِ

قال الجوهريّ: وانّما قال «آل مرائر» لانّهُ كان قد سمّى كلّ واحدٍ من اولادهِ بكلمة من ابي جاد (يريد الحروف الابجديّة) وهم ثمانية. وذكر غيرهُ نحوهُ فقـال: «اوّل من اخترعهُ والّف حروفهُ ستّة اشخاص من طسم كانوا نزولًا عند عدنان بن ادد وكانت اسماؤهم ابجـد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت (٣ فوضعوا الكتابة والخطّ على اسمائهم فلمّا وجدوا في الالفاظ حروفاً ليست في اسمائهم ألحقوها بهـا وسمّوها الروادف وهي الثاء المثلّثة والخاء والذال والظاء والغين والضاد المعجمات على حسب ما يلحق من حروف الجمّل. ثمّ انتقل عنهم الى الانبار واتصل باهل الحيرة وفشا في العرب ولم ينتشر كلّ الانتشار الى ان كان المبعث». وعن هشام بن محمد عن ابيهِ قال: اخبرني قومٌ من علماء مصر انّ اوّل من كتب الكتاب العربيّ رجل من بني النضر بن كنانة فكتبتهُ العرب حينئذٍ. وقضيّة هذه المقالات انّها اصطلاحيّة..

ثمّ اول ما ظهرت الكتابة العربيّة بمكّة من قِبَل حرب بن اميّة... قيل لابن عبّاس: من اين تعلّمتم الهجاء والكتاب والشكل. قال: عَلّمناهُ حربُ بن اميّة. قيل:

---

١) وردت هذه الاسماء الثلاثة في كتب العرب على هيئات مختلفة. قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص٢٢٢): «عمّ (بشر بن عبد الملك اخو أكيدر صاحب دومة الجندل) خطّنا هذا اهل الانبار وكان اسمهُ الحَزِم وتعلّمهُ من مُراس بن مرّة واحام بن مُرّة». وجاء في ذيل الكتاب «قال الشرقيّ بن القطاميّ اوّل من كتب بخطّنا هذا سلمة بن جَدَرة قالهُ الاصبر». وروى ايضاً: «عامر بن جدَرة». وجاء في كتاب النعمة في علم الخط تأليف (من مخطوطات مكتبتنا الشرقية ص١٠): «انّ اوّل من وضع الحروف العربيّة ثلاثة رجال من يولان (كذا والصواب بَولان) نزلوا مدينة الانبار وهم مراد (كذا) بن مرّة واسلم بن سدرة وعالم (كذا) بن حدرة»

٢) كذا. وفي صحاح الجوهري (طبعة بولاق) رُوي: آل مراس. ونظنّهُ الصواب

٣) ليس هذا القول ثبتاً فانّ حروف المعجم العربيّة مأخوذة من لغات أُخر حاميّة سبقتها. وتجد هذه الحروف في الفينيقيّة والعبرانيّة والكلدانيّة القديمة والسريانيّة الخ

ومن اين عَلِمهُ حرب بن امية . قال : طارئ طرأ علينا من اليمن . قيل : من اين علمهُ ذلك الطارئ . قال : كانت بالوحي لهود (عم)

وذكر ابو عمرو الداني في كتاب التنبيه على النقط والشكل نحوهُ . وقيل اوّل ما ظهرت الكتابة باليمن من قِبَل ابني سفيان بن امية عمّ ابي سفيان بن حرب . وانتهُ من قِبل رجل من اهل الحيرة . قال اهل الحيرة : اخذناها من اهل الانبار . وقال ابو بكر بن ابي دوّاد عن علي بن حرب عن هشام بن محمد بن السائب قال : تعلّم بشر بن عبد الملك الكتابة من اهل الانبار وخرج الى مكّة وتزوّج الصهباء (١ بنت حرب . وقيل انهُ انما تعلّم ابو سفيان بن حرب الخطّ من ابيهِ تعلّمهُ عمر بن الخطاب (رض) وجماعة من قريش وتعلّمهُ معاوية بن ابي سفيان من عمهِ سفيان

امّا الاوس والخزرج فقد روى الواقدي بسندهِ الى سعد بن سعيد قال : كانت الكتابة العربيّة قليلًا في الاوس والخزرج وكان يهوديّ من يهود ماسكة (٢ قد علمهُ فكان يعلّمهُ الصبيان فجاء الاسلام وفيهِ بضعة عشر يكتبون . منهم سعيد بن زُرارة والمنذر بن عمرو وأُبَيّ بن كعب ومعن بن عديّ وابو عبس بن كبير واوس بن خولي وبشير بن سعد . قال صاحب الابحاث الجلية في شرح العقيلة : والخط العربي هو المعروف الآن بالكوفي ومنهُ استُنبطت الاقلام التي هي الآن (٣ . وقد ذكر ابن الحسين في كتابهِ في قلم الثلث انّ الخط الكوفي فيهِ عدّة اقلام مرجعها الى اصلين هما التقوير والبسط . (فالتقوّر) هو المعبّر عنهُ الآن بالليّن وهو الذي تكون عراقاتهُ (كذا) وما في معناها منخسفة منحطّة الى اسفل كالثلث والرقاع ونحوهما . (والمبسوط) هو المعبّر عنهُ الآن باليابس وهو ما لا انخساف ولا انحطاط فيهِ كالمحقّق . وعلى ترتيب هذين الاصلين الاقلام الموجودة الآن . ثمّ قد ذكر صاحب اعانة المنشي انّ اول ما نُقل الخط العربي من الكوفيّ الى ابتداء هذه الاقلام المستعملة الآن في اواخر خلافة بني أُميّة واوائل خلافة بني عبّاس

---

١) وروى ابن دريد في الاشتقاق (ص ٢٢٢) : الشّهبا . ورد في ذيل الكتاب : انما الصُفيّا بنت الحارث بن حرب وانّ امها صفيّة

٢) نظنّ الصواب « ماسخة » من بطون الازد

٣) وقد وجد العلماء في زماننا خطوطًا عربيّة سبقت الخط الكوفي . ولعلنا نعود الى هذا البحث الجليل

قلتُ على انَّ كثيرًا من كتَّاب زماننا يزعمون انَّ الوزير ابا عليّ بن مُقلة هو اوَّل من ابتدع ذلك وهو غلط . فانَّا نجد من الكتب بخطّ الاوَّلين فيما قبل المئتين ما ليس على صورة الكوفيّ بل يتغيَّر عنهُ نحو هذه الاوضاع المستقرَّة وان كان هو الى الكوفي أميل لقربهِ من نقلهِ عنهُ . قال ابو جعفر النحَّاس في صناعة الكتَّاب : يقال انَّ جودة الخطّ انتهت الى رجلين من اهل الشام يقال لهما الضحَّاك واسحاق بن حمَّاد وكانا يخطَّان الجليل (وكانهُ يريد الطومار او قريبًا منهُ) . قال صاحب اعانة المبتدي : وكان الضحَّاك في خلافة السفَّاح اوَّل خلفاء بني العبَّاس واسحاق بن حمَّاد في خلافة المنصور والمهديّ . قال النحَّاس : ثمَّ اخذ ابراهيم (يعني الشجري) عن اسحاق بن حمَّاد الجليل واخترع منهُ قلمًا اخفّ منهُ سمَّاهُ قلم الثُّلثين وكان اخطَّ اهل دهرهِ بهِ . ثم اخترع من قلم الثلثين قلمًا سمَّاه قلم الثُّلث . قال صاحب الابحاث الجميلة : واخذ يوسف اخو ابراهيم الشجري القلم الجليل عن اسحاق ايضًا واخترع منهُ قلمًا ارقّ منهُ وكتبهُ كتابة حسنة فأُعجب بهِ ذو الرئاستين الفضل بن سهل وزير المأمون وامر ان تُحرَّر الكتب السلطانية بهِ ولا يُكتب بغيرهِ وسمَّاه قلم الرئاسيّ . قال بعض المتأخرين : واخذهُ قلم التوقيعات . قال النحَّاس : ثمَّ اخذ الاحولُ عن ابراهيم الشجريّ الثُّلثين والثلث واخترع منهما قلمًا سمَّاهُ قلمَ النِّصف . وقلمًا اخفّ من الثلث سمَّاه خفيف الثلث . وقلمًا مشكل الحروف ليس فيهِ شيء ينفصل عن غيرهِ سمَّاه المسلسل . وقلمًا سمَّاه غبار الحَلَبة وقلمًا سمَّاهُ خطّ المؤامرات . وقلمًا سمَّاه خطّ القصص . وقلمًا مقصوعًا سمَّاه الحوائجي . (قال) وكان خطُّهُ يوصف بالبهجة والحسن من غير إحكام ولا إتقان وكان عجيب البري للاقلام . وكان وجه النعجة (كذا) متقدِّمًا في الجليل . (قال) وكان محمد بن معدان (يعني المعروف بابي زَوْجان) متقدِّمًا في خطّ النصف . وكان قلمهُ مستوي السِّنَّين . وكان يشقّ الطاء والظاء والصاد والضاد بعرض النصف ويعطف مثل ياء ويصل (كذا) وكل يا . من يساره الى يمينه بعرض النصف لا يُرى فيهِ اضطراب . وكان احمد بن محمَّد بن عنص المعروف بزاقف اجلّ الكتَّاب خطًّا بالثلث وكان ابن الزيَّات في أيَّام ابن طولون وزير المعتصم يعجبهُ خطهُ ولا يكتب بين يديهِ غيرهُ . وانتهت رئاسة الخطّ بمصر الى طيطب المحرِّر جودةً وإحكامًا . قال النحَّاس : وكان اهل مدينة السلام يحدون اهل مصر على

طبطب وابن عَبْدكان يعني كاتب الانشاء لابن طولون ويقولون: بمصر كاتب ومحرّر ليس لامير المؤمنين بمدينة السلام مثلهما

قلت ثمّ انتهت جودة الخطّ وتحريره على راس الثلثمائة الى الوزير ابي علي محمد ابن مقلة واخيه ابي عبد الله قال صاحب اعانة المنشئ: وولدا طريقة اختراعها وكتب في زمانهما جماعة فلم يقاربوهما وتفرّد ابو عبد الله بالنسخ والوزير ابو علي بالدرج وكان الكمال في ذلك للوزير وهو الذي هندس الحروف واجاد تحريرها وعنهُ انتشر الخط في مشارق الارض ومغاربها والله درّ القائل:

سبق الدمعُ في المسير المطايا اذ روى من احبّ عنهُ بقلّهْ
واجاد السطور في صفحة القرطاس لمّا يجيد وهو ابن مُقلهْ

وقال الآخر: تسلسل دمعي فوق خدّيّ اسطرا ولا عجبٌ من ذاك وهو ابن مقلةٍ

ثمّ اخذ عن ابن مقلة محمد بن السمساني ومحمد بن اسد وعنهما اخذ الاستاذ ابو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب وهو الذي اكمل قواعد الخطّ وتممها واخترع غالب الاقلام التي اسسها ابن مقلة ولمّا مات رثاه بعضهم بقوله:

واستشرَ الكتّابُ فقدك سالفًا فجرت بصحّة ذلك الايّامُ
فلذاك سوّدت الدويُّ وجوهها اسفًا عليك وشُقّت الاقلامُ

وممّن اخذ عنهُ محمد بن عبد الملك واخذت الشيخة المحدّثة الكاتبة زينب الملقّبة بشهدة ابنة الابرى. وعنها اخذ امين الدين ياقوت. وعنهُ اخذ الوالي وعن محمّد بن عبد الملك الجمي وعليه كتب العفيف وعن العفيف اخذ ولده الشيخ عماد الدين. ويقال انهُ كان كابن البواب في زمانهِ. وعن الشيخ عماد الدين بن العفيف اخذ الشيخ شمس الدين بن ابي رقيبة محتسب الفسطاط وهو ممّن عاصرناهُ. واخذ عنهُ شيخنا شمس الدين محمد بن علي الزفاوي المكتب بالفسطاط (؟) وصنف مختصرًا في قلم الثلث مع قواعد ضمها عليهِ في صنعة الكتابة احسن فيهِ الصنيع وبهِ تخرّج صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثاري محتسب مصر ونظم الفية وسمها بالعناية الربّانية في الطريقة الشعبانيّة لم يُسبَق الى مثلها ثم توجه بعد ذلك الى مكة ثم الى اليمن والهند ثم عاد الى مكة فاقام بها ونسخ. قلت وقد عُلم ممّا تقدّم ذكرهُ ان القاب الاقلام من الثلثين والنصف والثلث وخفيف الثلث والمسلسل والغبار قديمة وان وقع في اذهان كثير من الناس انها من مخترعات ابن مقلة وابن البواب فمن بعدهما (ستأتي البقيّة)